الحمر». وحين سقط الانقلابيون، بعد نحو ست سنوات، في ثورة تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٤، كان مردود نضال ست سنوات ضد دكتاتورية عبود على الحزب الشيوعي السوداني عكس ما توقعه الرجعيون؛ إذ تضاعف حجم الحزب عشرة أضعاف حجمه عند وقوع الانقلاب، كما ازداد نفوذه الأدبي في مختلف الأوساط السياسية السودانية.

بداية الاهتمام بفلسطين

بسبب بعد السودان الجغرافي النسبي عن فلسطين، وبسبب استغراق حستو، والحزب الشيوعي السوداني من بعدها، بتحقيق الاستقلال السياسي للسودان، ولأن الفكرة العربية كانت ضعيفة، عموماً، في السودان، كان طبيعياً أن لا تحظى القضية الفلسطينية باهتمام الحزب وسلفه حستو. كما أن نكبة السودان بالدكتاتورية العسكرية، طوال ست سنوات، دفعت بقضية تحرير السودان من هذه الدكتاتورية إلى الصف الأول. وحين خلّصت ثورة تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٤، الشعب السوداني من الدكتاتورية، كانت جملة أمور قد تغيرت ومهدت السبيل لاهتمام الحزب الشيوعي السوداني بقضية فلسطين، بمعدل أكبر من ذي قبل. ذلك أن القضية الفلسطينية بدأت تتقدم اهتمامات الشعوب العربية، فضلاً عن القوى التقدمية العربية، وبعض الحكومات العربية، وبخاصة بعد أن بدأت اسرائيل، منذ العام ١٩٦٣، في تحويل مجرى نهر الاردن؛ مما دفع الأنظمة العربية إلى الاتفاق على السماح بظهور «الكيان الفلسطيني»، فكانت منظمة التحرير الفلسطينية التي عقدت مؤتمرها الأول، في القدس، في أيار (مايو) من العام ١٩٦٤.

وعقب نكسة حزيران (يونيو) ١٩٦٧، مباشرة، دعا الحزب الشيوعي السوداني إلى عقد مؤتمر يضم كل الأحزاب التقدمية العربية من أجل البحث عن صيغة توحد هذه الأحزاب وتحشد قواها لإزالة العدوان الصهيوني الامبريالي. وفي أوائل العام ١٩٦٨، بادر الحزب الشيوعي السوداني مع غيره من الأحزاب الشيوعية العربية، إلى الدعوة لوحدة كل القوى الوطنية والتقدمية العربية كطريق أساسي لتحرير الأرض.

وقد جاءت هذه النكسة في الوقت الذي كان الحزب الشيوعي السوداني يعد فيه لمؤتمره العام الرابع، الذي يعتبر، بحق، منعطفاً هاماً في حياة الحزب، سياسياً وفكرياً وتنظيمياً؛ لما تضمنته الوثائق الصادرة عنه من تحليلات عميقة للواقع السوداني وللقضايا العربية، وبضمنها القضية الفلسطينية، ولما تخلله من نقاشات ومداخلات، وما تمخض عنه من مقررات ودستور جديد للحزب، ضم البرنامج السياسي والنظام الداخلي؛ بعد أن أدخل عليهما المؤتمر تعديلات ذات شأن.

وفي الباب الثاني من التقرير العام الصادر عن المؤتمر الرابع، جرى الحديث عن العالم العربي تحت العناوين التالية: «حركة التحرر العربية تواجه قضية الثورة الاجتماعية»، «الوحدة العربية ومضمونها الجديد»، «اتحاد القوى الثورية العربية»، «الوجود الاسرائيلي»، «دور الديمقراطيين الثوريين». وإن كان «الوجود الاسرائيلي» هو ما يهمنا في مقالنا هذا فسنركّز عليه؛ وهو الذي شغل زهاء ثماني صفحات من التقرير المذكور ذي المئتين وستين صفحة من القطع المتوسط.